الصباح الإسلامية
09
العدد 2309 - السنة الثامنة
الإثنين 27 محرم 1437 - الموافق 9 نوفمبر 2015
Monday 9 November 2015 - No.2309 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

ذم الله عز وجل الغش وتوعد فاعليه بالويل

« من غشنا فليس منا »

لقد ذمّ الله عزّ وجلّ الغش وأهله في القرآن وتوعدهم بالويل، ويُفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾.

فهذا وعيد شديد للذين يبخسون- ينقصون- المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقها ويختلسها ويبخس الناس أشياءهم؟! إنه أولى بالوعيد من مطففي الكيال والميزان.

وقد حذّر نبي الله شعيب- عليه السلام- قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان كما حكى الله عزّ وجل ذلك عنه في القرآن.

وكذلك حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الغش وتوعّد فاعله، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا. فقال: « ما هذا يا صاحب الطعام؟ » قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني » وفي رواية « من غشنا فليس منا » وفي رواية « ليس منا من غشنا » [رواه مسلم].

فكفى باللفظ النبوي «ليس منا» زاجرا عن الغش، ورادعا من الولوغ في حياضه الدنسة، وحاجزا من الوقوع في مستنقعه الآسن.

إننا يا أخي في حاجة شديدة إلى عرض هذا الوعيد على القلوب لتحيا به الضمائر، فتراقب الله عزّ وجل في أعمالها، دون أن يكون عليها رقيب من البشر.

وصدق من قال:

ولا ترجع الأنفس عن غيّها
ما لم يكن منها لها زاجرُ

ولا يكن مثلنا في معالجة هذه الظاهرة، وغيرها من الظواهر المدمرة في المجتمع- كمريض بالزائدة الدودية يحتاج إلى مبضع الجراح..فتعمل له كمادات ساخنة عساها أن تخفف الألم.. إن المريض سيموت قبل أن التفكير في استدعاء الطبيب!!

وإليك يا أخي المبارك وقفات مع ظاهرة الغش بعد ما علمت ما رُتّب عليه من الوعيد:

الوقفة الأولى: تعريف الغش:

قال المناوي: «الغش ما يخلط من الرديء بالجيد».

وقال ابن حجر الهيتمي: «الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئا لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذ بذلك المقابل».

وقال الكفوي: «الغش سواد القلب، وعبوس الوجه، ولذا يطلق الغش على الغل والحقد».

الوقفة الثانية: مظاهر الغش

إن المتأمل في واقع كثير من الناس ليجد أنهم يمارسون صورا من الغش في جميع شؤون حياتهم ومن ذلك:

أولا: الغش في البيع والشراء:

وما أكثره في زماننا في أسواق المسلمين!! ويكون الغش فيهما بمحاولة إخفاء العيب، ويكون في طرق أخرى كالغش في ذاتية البضاعة أو عناصرها أو كميتها، أو وزنها أو صفاتها الجوهرية أو مصدرها، كما حدد ذلك نظام مكافحة الغش التجاري الصادر بالمرسوم الملكي رقم (45) في 14/ 8/ 1381 هـ.

وإليك طرفا من مظاهر ذلك على التفصيل:

– بعض البائعين للفاكهة يضع في نهاية القفص المعد لبيعه الفاكهة أوراقا كثيرة، ثم يضع أفضل هذه الفاكهة أعلى القفص، وبذلك يكون قد خدع المشتري وغشه من جهة أن المشتري يظن أن القفص مليء عن آخره، ومن جهة أنه يظن أن كل القفص بنفس درجة الجودة التي رآها في أعلاه.

– وبعضهم يأتي بزيت الطعام ويخلطه ببعض العطور على أن تكون كمية الزيت هي الغالبة وبعضها في عبوات زجاجية ويخرج منها ريح العطر ويبيعه بثمن قليل.

– وبعض التجار يشتري سلعة في ظرف خفيف جدا ثم يجعلها في ظرف ثقيل نحو خمسة أضعاف الأول، ثم يبيع ذلك الظرف وما فيه، ويوزن جملة الكل، فيكون الثمن مقابلا للظرف والمظروف.

– وبعض التجار يخيط الثياب خياطة ضعيفة ، ثم يبيعها من غير أن يبين أن هذا مخيط، بل ويحلف بالله إنه لجديد وما هو بجديد فتبا له!!

– وبعضهم يلبس الثوب خاما إلى أن تذهب قوته جميعها ثم يقصره حينئذ ويجعل فيه نشا يوهم به أنه جديد، ويبيعه على أنه جديد.

– وبعض العطارين يقرب بعض السلع إلى الماء كالزعفران مثلا فتكتسب منه مائية تزيد وزنه نحو الثلث.

– وبعض التجار وأصحاب المحلات يسعى إلى إظلام محله إظلاما كثيرا باستخدام الإضاءة الملونة أو القاتمة، حتى يعيد القليط بن السلع والملابس- خصوصا- رقيقا، والقبيح حسنا، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم.

– وبعض الصائغين يخلط مع الذهب نحاسا ونحوه، ثم يبيعه على أنه كله ذهب.

– وبعضهم يعمد إلى شراء ذهب مستعمل نظيف، ثم يعرضه للبيع بسعر الجديد دون أن ينبّه المشتري على أنه مستعمل.

– يعمد بعض البائعين في مزاد السيارات إلى وضع زيت ثقيل في محرك السيارة حتى يظن المشتري أنها بحالة جيدة.

– وبعضهم يعمد إلى عداد الكيلو في السيارة الذي يدل على أنها سارت كثيرا فينقصه بحيلة حتى يتوهم المشتري بذلك أنها لم تسر إلا قليلا.

– وبعضهم إذا كان معه سيارة يريد بيعها، وبعلم فيها خللا خفيا، قال لمن يريد شراءها: هذه السيارة أمامك جرّبها إن أردتها، ولا يخبره بشيء عنها.. ولعمر الله إنه لغش وخداع.

– وبعضهم يعمد إلى ذكر عيوب كثيرة في السيارة وهي ليست صحيحة ، ويهدف من وراء ذلك إلى إخفاء العيوب الحقيقية في السيارة تحت هذه العيوب الوهمية المعلن عنها.

والأدهى من ذلك أنه لا يذكر العيوب إلا بعد البيع وتسليم العربون، ولا يمكن المشتري من فحص السيارة بل ولا يسمح له بذلك.

– وبعضهم إذا كان معه سيارة يريد بيعها صار يمدحها ويحلف بالله أنها جيدة، ويختلق أعذارا لسبب بيعها، والله عزّ وجل يعلم السر وأخفى.

– وبعضهم يتفق مع صاحب له ليزيد في ثمن السلعة فيقع فيها غيره، وهذا هو النجش الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

– ومن الغش في البيع أن يقوم القصّاب- الجزار- بنفخ الذبيحة التي يراد بيعها، ليبين للمشتري أن المنفوخ كله لحم.

– وبعضهم يعمد في مزاد الأغنام إلى تغذيتها بالملح- وكذلك في محلات بيع الدجاج- حتى يظن المشتري أنها سمينة وهي بخلاف ذلك.

– وبعض أصحاب بهيمة الأنعام يعمد إلى صرّ- أي شد وربط- ضرع ذات اللبن من بهيمة الأنعام قبل بيعها بأيام ليظهر أنها حلوب.

وأدع لك المجال لتضيف ما خطر في ذهنك من صور الغش في البيع والشراء. وأعيذك بالله إن كنت بائعا أو مشتريا من الغش والاتصاف بشيء مما سبق.

ثانيا: الغش في الزواج:

ومن مظاهر الغش فيه ما يلي:

– أن يقدم بعض الآباء المتقدم لإحدى بناته ابنته الصغيرة البكر، ويوم البناء- ليلة العرس- يجدها الكبيرة الثيب، فيجد بعضهم لا مناص ولا هروب من هذا الزواج.

– وبعض الآباء وأولياء النساء يري الخاطب البنت الجميلة ، ويوم البناء يرى أنها الدميمة القبيحة فيضطر للقبول- إن قبل.

– وبعض الآباء قد يخفي مرضاً أو عيباً في ابنته ولا يبينه للخاطب ليكون على بينة، فإذا دخل بها اكتشف ما فيها من مرض أو عيب.

– وبعض الآباء وأولياء البنات إذا طلب منهم الخاطب رؤية المخطوبة- وهو جائز بشروطه- أذنوا في ذلك بعد أن تملأ وجهها بكل الألوان والأصباغ التي تسمى «مكياجا» لتبدو جميلة في عينيه، ولو نظر إليها دون هذا القناع من المساحيق لما وقعت في عينيه موقع الرضا.

أليس هذا غشاً يترتب عليه مفاسد عظيمة في حق الزوج والزوجة؟!

– وبعض الأولياء يعمد إلى تزويج موليته دون بذل جهد في معرفة حال الخاطب وتمسكه بدينه وخلقه.. وفي هذا غش للزوجة وظلم لها.

– ومن الغش في الزواج أن يعمد الخاطب إلى التشبع بما لم يعط، فيُظهر أنه صاحب جاه وأنه يملك من العقارات والسيارات الشيء الكثير. بل ويسعى إلى استئجار سيارة فارهة تكلف المئات من الريالات ليظهر بأنه يملك، ولا يملك في الحقيقة شيئا.

– ومن الغش كذلك أن يعمد بعض الناس إلى تزكية الخاطب عند من تقدم لهم، ومدحه والإطراء عليه وأنه من المصلحين الصالحين، مع أن هذا الخاطب لا يعرف للمسجد طريقا.

فكفى- أيها الأحبة- غشاً وخداعاً يهدم البيوت، ويشتت الأسر.

– ومن الغش ما تقوم به بعض النساء- وخاصة الكبيرات- من الفلج- وهو برد الأسنان لتحصل بينها فرجة لطيفة تظهر بها الكبيرة صغيرة، فيظن الخاطب أنها كذلك فإذا تزوجها اكتشف أنها بلغت من الكبر عتيا. وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى.

ثالثا: الغش في النصيحة:

وذلك بعدم الإخلاص فيها والقصد من بذلها أغراض دنيوية وأغراض دينية، ومن حق الأخوّة بين المؤمنين أن يتفانى الأخ في نصح أخيه ويمحص له ذلك، فالمؤمنون نصحة والمنافقون غششة.

والمؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيبا أصلحه. والنصيحة تكون بكف الأذى عن المسلمين، وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، بجلب النافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخوّلهم بالموعظة الحسنة، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد تشنجياو بمدينة هانتشو الصينية

هانتشو مدينة جميلة المناظر غنية بالثروات. وقد كانت عاصمة الصين في عهد أسرة سونغ الجنوبية (1127–1279م)، كما كانت ميناء تجاريا دوليا هاما في التاريخ. أما مسجد «تشنجياو» (الدين الحق) الواقع في شارع الدكتور صون يات صن بالمدينة فقد سمي «مسجد العنقاء» أيضا لأن بناءه يشبه العنقاء الناشر جناحيها. وقيل ان بوابة المسجد وبرج مشاهدة الهلال القائم عليها، يشبه رأس العنقاء، وان الممر المؤدي من البوابة الى الداخل يشبه عنقها، وان صفين من الأشجار السامقة على يمين المسجد ويساره يبدوان وكأنهما جناحان لها، وان المباني المتوزعة في قلب المسجد تشبه بدنها، وان دغلة من البامبو خلف قاعة الصلاة تشبه ذيلها. أما البئران أمام قاعة الصلاة فقد جرت العادة على تشبيههما بعيني العنقاء. كما قيل ان المسجد قد تم بناؤه في عند أسرة تانغ (–618 907م)، ثم اتلف سنة 1203م، وأعيد بناؤه في عهد يوان (1271–1368م)، ولكن النصب الحجري القائم في المسجد الذي يرجع تاريخه الى سنة 1493 يشير الى أنه قد بني سنة 1281م، بينما يسير «تاريخ هانغشو» الى أنه شيد على يد علاء الدين العربي سنة 1314م، وقد وصف ابن بطوطة ما رآه هناك قائلا: « في اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة، ويسكنها المسلمون، ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام. وبها المساجد المؤذنون، وسمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا. ونزلنا منها بدار أولاد عثمان ابن عفان المصري، وكان أحد التجار الكبار (الذي) استحسن هذه المدينة فاستوطنها، وعرفت بالنسبة اليه، وأورث عقبه بها الجاه والحرمة، وهم على ما كان عليه أبوهم من الإيثار على الفقراء والإعانة للمحتاجين. ولهم زاوية تعرف بالسليمانية حسنة العمارة، لها أوقاف كثيرة، وبها طائفة من الصوفية، وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة. ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافا عظيمة، وعدد المسلمين بالمدينة كثير..» ونعرف من تدوينات ابن بطوطة ان المسلمين العرب كانوا قد استوطنوا هانغشو منذ زمن بعيد. ولكن ليس في حوزتنا معلومات تدل على ان المسجد العثماني الذي رآه ابن بطوطة بأم عينيه هو المسجد المشيد على يد علاء الدين سنة 1314م، حسب ما ورد ذكره في «تاريخ مدينة هانغشو».

«وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

اسم الله .. العزيز

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر». وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة».

ومن أسماء الله الحسنى: العزيز، قال القرطبي: «العزيز معانه المنيع، الذي لا ينال، ولا يغالب». وقال ابن كثير: العزيز: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه. قال ابن القيم – رحمه الله –: العزة منقسمة لأنواع ثلاثة:

– عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين

– عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

– عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته[5]. وقال بعضهم: ذكر العزيز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة[6]. قال تعالى: «واعلم أن الله عزيز حكيم» . وقال أيضا: «ذلك تقدير العزيز العليم».

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم

أولا: الإيمان بالله – عز وجل –، وأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحا جليا، فمن ذلك قصة موسى – عليه السلام –، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي ينتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى – عليه السلام –، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص.

ثانيا: أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فمن طلب العزة فليطلبها من رب العزة، قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» ، أي من أحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعا، وقد ذم الله أقواما طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» .

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة».

ولهذا قال سبحانه: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ». وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– للأنصار: «لم تكونوا أذلة فأعزكم الله».

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله». وكان من دعاء السلف: «اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك».

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري».

ثالثا: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس – رضي الله عنه –: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل: بسم الله أعوذ بعزة الله و قدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترًا».

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنه –: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول: «اللهم أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت و الجن و الإنس يموتون».

رابعا: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامسا: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب، والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابة، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري – رضي الله عنه –: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر».